شهادةُ حقٍّ.. كلمة في محمد بن راشد القائ

- سموه تعلّم من زايد وراشد عدم الاستسلام والسعي لقهر المستحيل
- تعلّم أنّ القائد يغتنم الفرص عندما تلوح وإذا لم تسنح فعليه صنعها
- فارس مغوار منذ نعومة أظفاره ظهر نبوغه بترويض الخيول البريّة باكراً
- سموّه رجال في رجل.. شجاعة قلب وصفاء نفس وكرم أخلاق
- هو فارس العرب الذي لا يشقّ له غبار في ميادين الفروسية

■ محمد بن راشد تعلّم من زايد أنّ هناك قادة لا يحبّون كراسي الحكم بل مصلحة شعوبهم | أرشيفية

حين يحاول الإنسان الكلام في سيرة هذا الشيخ الجليل، صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله، يصعب عليه جداً الفصل بين الملامح الإنسانية والملامح الرسمية في شخصيته المبجّلة، وما ذاك إلا لأنّ هناك تمازجاً خلّاقاً بين شخصيته الإنسانية وتكوينها الروحي والأخلاقي، وبين عبقريته القيادية والإدارية، التي تتجلّى في إنجازاته الباهرة، وهذه واحدة من أصعب المعادلات، بل هي السمة الأساسية في الشخصيات الكبيرة المبدعة، التي يتوحّد فيها العقل والقلب في صناعة الحياة وصياغة الإيقاع المتميز للوطن والإنسان.

وحين يكتب الإنسان عن إنسان قريب من القلب، تتدفق الروح بالحبّ، والقلم بالمعاني، وإنّ الحديث عن صاحب السّموّ الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، حديث نابع من عيْن القلب: ماء زلال وبستان وردٍ ونوّار، فصاحب السموّ رجال في رجل: شجاعة قلب، وصفاء نفس، وكرم أخلاق، وعطاء لا ينضب لشعبه ووطنه، يتفيّأ منه أحبابه أكرم ظلّ، ويأوي منه طلّاب الخير إلى ركن من الرجال شديد، فيا سعْد الإمارات بفارسها المهيب، ويا سعْد أبناء الإمارات بشيخهم وسيفهم (بو راشد)، فارس الهدْلة الذي لا يشقّ له غبار:

هو البحر من أيّ النواحي أتيته
فلجّته المعروف والجود ساحله
تعوّد بسط الكفّ حتى لو أنه
أراد انقباضاً لم تطعه أنامله

فهو، رعاه الله، مثال للنابغة الذي تفوّق على أبناء عصره، بل سبقهم، ذو طموح عالٍ، مع سعي دؤوب للوصول إلى ما يطمح إليه، صاحب همّة عالية، لا يرضى من الدنيا إلا بالذّرى العالية، يتمتّع برؤية ثاقبة، ونظرة حصيفة، يستطيع بها التخطيط لبلده ولشعبه ورعيّته، هدفه إرضاء ربّه، وإسعاد شعبه، فكم نحن محظوظون بأمثاله من قيادتنا الحكيمة، الّذين جعلوا نصب أعينهم راحة رعيّتهم، والمقيمين على ثرى أرضهم، وتفوّق أبنائهم وبناتهم، وسعادة شيبهم وشبانهم، ورعاية الأرض والحجر، والعناية بالبرّ والبحر.

تجده بارعاً في الفروسيّة، يكاد لا يسبقه أحد، ولا يتحمّل غيره ما يتحمّله في سباقات القدرة الّتي يشارك فيها، بل هو فارس العرب، الّذي لا يشقّ له غبار، وله صولات وجولات في ميادين الفروسية وسباقات الخيل، سواء بصفته فارساً مقداماً أو مالكاً للسلالات النادرة، أو قائداً لفريق فرسان الإمارات وموجّهاً لهم.

فتىً به سمْرة تغوي البنات إذا
ما أسرج المهْرة الشهباء أو ركبا
في فتية خيّطوا الصحراء من دمهم
وعلّموا أهلها التحنان والطربا

ومثلما علا كعبه في الفروسية، أشرقت شمسه في سماء الشعر الصافية، فإنْ أنت نظرت إلى شعره، وجدت شعره من الطبقة العالية: عذوبة موسيقى، وتصوير بديع، ورهافة ألفاظ، ورقّة مشاعر وجلالة فروسية، وحبّ وحنين يفيض من صميم القلب، تتذكّر به عشّاق العرب الفرسان، الذين كانوا يطوون أوجاع قلوبهم في أعماقهم، ويبوحون بالحنين من خلال هذا الغناء الصافي، الذي يشبه أحزان الربابة حين يجرّ عليها بدويٌ أصيل أنامله، فضلاً عما يتمتع به شعره من جزالة الألفاظ، ولطيف المعاني، والقدرة الفائقة على التعبير عن أدق المشاعر الإنسانية.

وإن جلت بفكرك في الإدارة، فهو القدوة في الإدارة، يتمتّع بشخصيّة فريدة في إدارة الدولة، حزم مع كفاءة، وعفو مع مقدرة، نصح مع رحمة، وتوجيه مع متابعة، تشجيع مع الحوافز للمجتهد، ومحاسبة مع الرّأفة للمخطئ العامل، ومحاسبة مع الصّرامة للمهمل المقصّر.

وإن أردت الحديث عن طموحه، فلا بدّ أن تذعن أنّه ليس لطموحه حدّ، فهو معدن الطموح وفارس التحدي، وهو الّذي قرّر أنّ في سباق التميّز لا يوجد خطّ للنهاية، تجده صاحب همّة عالية، لا يرضى لنفسه ولا لشعبه غير الصدارة، وسعيه الدؤوب نحو بلوغ هدفه، جعل بلاده رغم حداثة سنّها بين الدّول، تتصدّر دولاً كثيرة لها تاريخ عريق.

إنّه نتاج مدارس متنوّعة، أولها مدرسة جدّه الشيخ سعيد بن مكتوم، رحمه الله، ذلك الوليّ الصالح الّذي حكم شعبه وعرف بزهده وصلاحه، ومنه اقتبس إيمانياته وحرصه على مبادئ دينه.

وثانيها، مدرسة والده الفذّ، الشيخ راشد بن سعيد، طيّب الله ثراه، الّذي اشتهر بنظرته البعيدة ورؤيته الثاقبة، وعمله المستمرّ نحو بناء دبي الحديثة.

وثالثها، مدرسة الوالد المؤسس، والأب الحاني، وحكيم العرب، المغفور له بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، الّذي عمل لإنشاء هذه الدولة على أساس متين من الحبّ والعطاء والإنسانية والحكمة والتعليم والتطوير، حتّى أضحت دولة الإمارات العربية المتّحدة، يضرب بها المثال في التقدّم والازدهار، مع الحفاظ على القيم والعادات الأصيلة.

لقد جمع الله فيكم يا صاحب السّموّ خصالاً حميدة متنوّعة، وخلالاً مجيدة، قلّ أن تجتمع في قائد في عصرنا الحاضر، وحقّ لكم يا صاحب السّموّ أن تفتخروا بذلك، وأن تدعوا من يريد اللحاق بكم إلى التّأسّي بأفعالكم وإنجازاتكم:

فقولوا لمن يبتغي شأوكم
مناط الثّريّا لنا موضع

وكيف لا تكونون كذلك، وإنجازاتكم تتحدّث عن نفسها، وبكم تفتخر الأجيال، وأنتم محطّ آمال الشباب في أن ينعموا بقادة أمثالكم يهتمّون بهم، ويسلكون بهم في دروب التنمية والرّخاء:

وأنت همام فخار البلاد
وفخر العروبة والأرفع
سخيّ كريم على شعبه
وسهم بنحر العدا مشرع

التنشئة الصالحة

نشأ صاحب السّموّ الشيخ محمد بن راشد، في كنف جدّه الشيخ سعيد بن مكتوم، الّذي عرف بالصّلاح والتقوى، والخوف من الله جلّ جلاله، والّذي أمن البلاد في ظلّ عدله وصلاحه، ومنه استقى الأخلاق الفاضلة والتواضع، وأيقن أنّ الصلاح والتقوى سلاح كلّ مؤمن وأمانه، وأنّ الحرص على نفع النّاس ومحبّتهم، كفيل بأن يجعل الناس يحبّون الرّاعي ويدعون له ويأتمرون بأمره، وصدق رسول الله صلّى الله عليه وسلم إذ يقول: «خيار أئمتكم الّذين تحبّونهم ويحبّونكم، وتصلّون عليهم ويصلّون عليكم».

ثمّ ترعرع تحت نظر والده الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، طيّب الله ثراه، وكان ملازماً له في حلّه وترحاله، ويحضر مجالسه في سفره وإقامته، وشاهد كيف يتعامل والده مع الرعيّة، شيباً وشبّاناً، رجالاً ونساءً وأطفالاً، يعطي كلّ ذي حقّ حقّه، يوقّر كبيرهم، ويرحم صغيرهم، ويعلّم فتيانهم.

تعلّم في مدرسته بعد النظر واغتنام الفرص، بل وصنعها وعدم انتظارها، وتعلّم منه عدم الانزعاج من الانتقادات، بل استثمارها لإصلاح الأخطاء الّتي قد تكون وقعت، والاستمرار في ما يقوم به من إنجازات إذا رأى أنّ النقد لا أساس له، وإنّما هو مبنيّ على افتراء أو حسد، وفي ذلك يقول سموّه: «ذهبت مرّة إلى والدي وقلت: إنّ هذه الصحيفة وتلك تفتري علينا، وتكتب عن دبي ما لا صحّة له على الإطلاق، واقترحت عليه منعها، فهدّأني وقال: بل الأفضل أن نستمرّ بالسّماح لها بالدّخول، فإن كان ما تكتبه عنّا صحيحاً، فنحن نستحقّ الانتقاد، وإن كان افتراءً، فلن يصدقها أحد، فخرجت من عنده مقتنعاً، ولم أقترح بعد ذلك منع مطبوعة مهما كان السّبب».

تعلّم في مدرسته الصبر مع المتعاملين، واستشارة المختصّين، والتّأنّي في اتّخاذ القرار، فإذا استقرّ رأيه عمل به، ولم يأبه لمن يطلب منه التّريّث، أو يحاول تثبيطه، أو النيل من عزيمته.

يقول سموّه عن ذلك: «مرّ عليّ خلال سنوات عملي الطويلة بعض الإخوة والأصدقاء، ممّن كانوا يحملون طاقة سلبية لم أستطع أن أغيّرها، كلّما أقترح عليه أمراً يقول: هذا مستحيل، أو مشروعاً جديداً يقول: هذا صعب التنفيذ، أو مبادرة فيكون الرّدّ: لا نستطيع... نعم، مرّ عليّ من الناس من يحملون هذا القدر من الطاقة السلبية، فاستبدلتهم بآخرين أكثر تفاؤلاً وإنجازاً وطاقة إيجابية، واجهنا تحديات كثيرة خلال حياتنا العمليّة، ولم يهزمنا أيّ منها».

وسْت البلاد كما ساسها
أبوك فمن مثلكم يبْدع
فرأي سديد وحكم رشيد
ولا مكْث إلّا لما ينفع

وتهيّأ للشيخ محمّد، النهل من مدرسة والدته الجليلة، الشيخة لطيفة بنت حمدان، رحمها الله، واكتسب منها الكثير من القيم النبيلة والخصال الحميدة والصفات الجليلة، وتعلّم منها الرّفق والرّحمة والعطف مع الناس، ولا سيّما المعوزين منهم والفقراء والمساكين، كما اكتسب منها قوّة الشخصيّة والإيجابية والتأثير في الآخرين.

يقول صاحب السّموّ الشيخ محمّد، متحدّثاً عن والدته، طيّب الله ثراها: «إلى أمّي رحمها الله يعود الفضل في إكسابي الكثير من القيم والخصال الحميدة، وأهمّها قوّة الشخصيّة، فقد كانت رحمها الله ذات شخصيّة قويّة مؤثّرة، كما كانت رقيقة رحيمة، خاصّة مع الفقراء والمحتاجين، فهذه الشخصيّة الإيجابيّة القويّة المؤثّرة والعطوفة في آن واحد، هي الّتي تأثّرت بها».

خصال النّدى والعلى كلّها
غذتك بها يافعاً مرْضع
وأنت لوجه الندى طرْفه
وأنت لداعي النّدا مفْزع

زايد الأسوة في القيادة

لا يخفى تأثّر صاحب السّموّ الشيخ محمد بن راشد، بالمغفور له، الشيخ زايد بن سلطان، طيّب الله ثراه، فالشيخ زايد مدرسة فريدة، أثرت في كلّ من ارتبط بها أو نهل من توجيهاتها وتعاليمها، والشيخ زايد، رحمه الله، نموذج ومثل أعلى لكلّ من يريد أن يترك أثراً خالداً ومحموداً عبر الأجيال، يقول سموّه: «تعلّمنا في المدارس والكلّيات، ولكنّي لم أجد مدرسة أو جامعة أكبر من زايد».

لم يكن زايد فينا واحداً
بل هو الأمّة حين النّوب

والشيخ محمّد، رعاه الله، معجب بالشيخ زايد، رحمه الله، ويذكر ذلك في مناسبات مختلفة، حيث كان المغفور له قدوة في عمل الخير وحبّ الرّعيّة، وحسن القيادة، وفي البساطة والتواضع، فضلاً عن إرادة الخير للإنسانية، والسعي لتكريم بني البشر ونجدتهم حيثما كانوا.

■ محمد بن راشد فارس أثبت جدارته بالصدارة دائماً

بقلم:
أ. د. محمّد عبد الرّحيم سلطان العلماء

تعلّم من الشيخ زايد، طيّب الله ثراه، كما تعلّم من والده، رحمه الله، أيضاً، عدم الاستسلام، والسعي لقهر المستحيل، والعزيمة والتصميم، وتعلّم منه أنّ هناك قادة لا يحبّون كراسي الحكم، بل مصلحة شعوبهم، ويقول عنه وعن والده رحمهما الله: «إنّهما أخبر من عرفتهم بتذليل العقبات وقهر المستحيلات، وترجمة الرؤى إلى واقع، أوصل الإمارات إلى المكانة الرّفيعة الّتي تحتلّها اليوم، ولا عجب إذاً في أنّهما مثالاي الأعليان».

كانت علاقته بالشيخ زايد، طيّب الله ثراه، علاقة الابن بأبيه، بما تتضمّنه من الحبّ وصدق المشاعر، ويقول عنه: «كان يرحمه الله، يجعلك تحبّه، من تقديره حقّ التقدير لمن يعمل وينجز، وكان صريحاً مع النّاس، وأراد الصراحة من الناس، لذا، عوّدني أن أكون صريحاً معه في كلامي بكلّ احترام».

تعلّم من الشيخ زايد، غفر الله له، المعنى

إنسانية سموه العالية

ـد المُلْهم والشاعر الفارس

- شعره من الطبقة العالية.. عذوبة موسيقى وتصوير بديع ورهافة ألفاظ
- محمد بن راشد تأثّر بمدرسة زايد الفريدة التي أثّرت في كلّ من ارتبط بها
- سموه تعلم من راشد عدم الانزعاج من الانتقادات بل استثمارها
- يتمتّع برؤية ثاقبة ونظرة حصيفة يستطيع بها التخطيط لبلده
- جعل نصب عينيه الحفاظ على كرامة الناس وعون المعوزين

■ سموه كان ملازماً لراشد في حلّه وترحاله.. يحضر مجالسه في سفره وإقامته

القائـد يجب أن يغتنـم الفرص عندمـا تلوح له، وإذا لم تسنح له الفرصة، فعليه أن يكون مستعدّاً لصنعها، ومن أهمّ ما تعلّم منهما، هو كيف يكون القائد أباً للجميع.

وإذا كان الشـيخ زايد، رحمه اللـه، قد منّ الله عليه بحبّ شـعبه له، واسـتمرار هذا الحبّ، رغم مـرور أكثر من عقد مـن الزّمن علـى وفاته، فإن الشيخ محمد بن راشد وإخوانه من قادة الإمارات، قد أنعـم الله عليهـم بحبّ الشـعب لهم، وهذا أقصى ما يطمح إليه أيّ قائد في الوصول إليه.

ولا ريـب أنّ من عمل مع المغفور له، الشـيخ زايـد، منذ تأسـيس هذه الدولـة المباركة، وتولّى المسؤوليات الجسيمة في الوزارات المتعدّدة الّتي شـكّلت فـي عهده، ليـس بغريب عليـه أن يتأثّر بنهجه في القيادة، لا سيّما إذا كان قريباً من الشيخ زايد، وتربطـه به أواصر القربـى والمحبّة، وتظهر هذه المحبّة جليّة في القصائد الشـعريّة المتبادلة بين الشيخ زايد، رحمه الله، وصاحب السّموّ الشيخ محمد بن راشد، رعاه الله.

قـفـوت مـنـار الـهـدى زايـدا
فـفـي كـلّ شـأولـه تـتـبـع
أريـج الـرُّمـان ذكـيّ الـشّـذا
ونـجـم الـمـعـالـي الّـذي يـلـمـع

المبادرات والعطاءات الإنسانية

يعرف الشيخ محمّد بمبادراته الفكرية والاجتماعيّة والإنمائية والإنسـانية، فلا يكاد يمرّ ذكرى جلوسه أو حلـول شـهر رمضـان أو مناسـبة وطنيـة، إلّا والإمارات والعالم بأسره يفاجأ بمبادرة جديدة من صاحب السّـموّ الشيخ محمد بن راشد، تهدف إلى إسعاد شعب الإمارات، وتصدير هذه السعادة إلى مختلف أقطار الأرض، مبادرات تنصبّ في مصلحة الشـعوب، بما تقدّمه لهم من خدمات، وبما توفّر لهم من حاجات، وبما تحقّق لهم من مسـاعدات في سـبيل التنمية وتطوير المجتمعات، ولا سبيل إلى حصرها فـي هذه المقالة الموجزة، إنّما أذكر بعضها على سبيل الإشارة.

جعل الشـيخ محمد، رعاه اللـه، نصب عينيه، الحفـاظ على كرامة النـاس أينما كانـوا، ومدّ يد العون للمعوزيـن والمحتاجين، والوقوف بجانبهم للتخفيف من معاناتهم، والحرص على إسعاد النّاس، وتحقيـق آمالهم وطموحاتهـم، ولأجل تحقيق ما يصبو إليه، طرح العديد من المبادرات الّتي تحقّق مصالح الإنسـانية، ومن أهمّها، إنشـاء مؤسّسـة متخصّصة تحمل اسـمه، وتعنى بالأعمال الخيرية والإنسـانية، ليس في دبي والإمارات فحسب، بل في شـرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها، تجدها حاضرة في كلّ مكان، وسـبّاقة لمدّ يد العون لكلّ مـن يحتـاج، دون النظر إلى العـرق أو الجنس أو الدّيـن، بل من منظور إنسـاني بحت، انطلاقاً من تعاليم الشـريعة السـمحة في تفريـج الكرب عن النّاس، بمختلف أجناسهم وأعراقهم.

وأطلق مبادرة دبي للعطاء، لتوفير فرص التعليم للمحتاجين في مختلف الدّول الفقيرة، وتمّ إنشاء العديد من الفصول الدّراسيّة، مع توفير مياه صالحة للشـرب، ووجبات غذائيـة صحّيّة للطلبـة يوميّاً، بالإضافة إلى المرافق الصحّيّة وتدريب المعلمين، وتوفير الكتب الدّراسـيّة للطلبة، وتأسيس مجالس لأولياء أمورهم ومعلّميهم، وأفاد من هذه المبادرة الملايين من الأطفال.

كما أطلق مبادرة «نـور دبي» لمكافحة العمى ومعالجـة الإعاقة البصريّة، ولا يزال يسـتفيد منها عشـرات الملايين فـي أنحاء المعمـورة، وأطلق مبادرة «سقيا» لتوفير مياه الشرب الصالحة لمليون أسـرة، ومبـادرة «الكسـوة» لتزويـد المحتاجين بالملابـس من ملايين الفقراء، وكذلك أنشـأ «بنك الطعام» لإطعـام الجائعين في كافّة أرجاء الأرض، بالإضافـة إلى العديد من المبـادرات الأخرى الّتي اشتهر عطاؤها، وأضحت مثار حديث العالم.

وكلّ ذلك بالإضافة إلـى مبادراته المحليّة، من حيـث الاهتمام بالأيتـام ورعايتهم، وإنشـاء قرية العائلـة، الّتـي توفّر لهـم الجوّ العائلي المسـتقرّ والمتوازن، مع الحرص على حسن تنشئتهم، وتوفير أفضل تعليم لهم.

كمـا أطلق مبـادرة إكـرام ورعاية كبار السّـنّ، لإدراك سـموه أنّ مـن واجب المجتمـع رعايتهم وحمايتهم وتوقيرهم والعطف عليهم، انطلاقاً من التوجيـه النبوي الكريم: «ليس منّـا من لم يرحم صغيرنـا ويوقّر كبيرنـا»، وأصدر أوامره السّـامية بتوفيـر أقصى درجات الرّاحـة لهم، وتأمين جميع الخدمـات العلاجيـة والتأهيلية، وإتاحـة الحياة الكريمـة لهـذه الفئة، الّتـي تسـتحقّ كلّ الرّعاية والاحتـرام، لما بذلوا من جهود مضنية، وأسـهموا بصبرهـم وكفاحهم في وضـع اللبنات الأولى في بناء دولة الإمارات العربية المتّحدة العصرية.

ولم يكتـفِ بإطلاق مثل هـذه المبادرات، بل يحـرص على زيـارة الأيتام وكبـار السّـنّ، يتفقد أحوالهـم، ويجتمـع بهـم، ويحـرص علـى تلبية حاجاتهـم، ويوجّه بصورة مسـتمرّة جميع الدوائر الحكوميـة بالاهتمام بهـذه الفئـات، إضافة إلى أصحـاب الهمـم، ومنحهـم الأولويّة فـي تقديم الخدمات.

كمـا أطلـق العديد من المبـادرات الّتي تصبّ في سـبيل النهـوض بالأمّة، مثل «تحـدي القراءة العربيّـة»، ومبـادرة «توفيـر خمسـة ملايين من الكتب»، ومبـادرة «مليون مبرمج عربي»، وغيرها مـن المبـادرات التـي لا مجال هنا لاسـتقصائها، بالإضافة إلى الجوائز العديدة الّتي أسسها ويرعاها، وكلّها وسائل لنهضة هذه الأمة من جديد.

فـكـم مـن جـمـيـل يـعـمّ الـورى
جـرى مـنـكـم فـيـضـه الأوسـع
تـولّـى الـجـفـا واسـتـجـدّ الـصّـفـا
وعـمّ الـفـضـا نـورك الأسْـطـع

الفروسية والشّعر

لا يخفى على كلّ من يعرف صاحب السموّ الشيخ محمد بن راشـد، أنّه فارس بكلّ ما تعنيه الكلمة، أثبـت جدارتـه وفروسـيته في مختلـف ميادين السـباقات الّتي شارك فيها، وفاز بالمركز الأوّل في العديد منها، ولا سـيّما سباقات القدرة، الّتي تنبئ عن قـوّة تحمّل وحسـن إدارة لمراحل السّـباق، فضـلاً عن حسـن اختيار الحصان الّـذي يمكن أن يتحمّل مثل هذه السباقات، وخاصّة أن بعض هذه السباقات، تكون لمسـافات طويلة تصل إلى 160 كيلـو متراً، وفـي ظلّ أجواء متنوّعـة، إذ يصادف وقوع بعضها في أجواء باردة ومطيرة، وفي مسـار يشـتمل على الكثير من المرتفعات والمنحدرات، بالإضافة إلى وعورة الطرقـات، وتتطلّب تخطيطاً وصبراً وقدرة عاليـة على التحكّم، وهي صفات لا يستغني عنها أيّ قائد.

والفروسـية ترتبط بالشـجاعة والشهامة والثقة بالنفس، وهي وسـيلة لتهذيب النفوس والسلوك، وتعمّق التفكير في تخطي العقبات والتغلّب على الصعاب.

وعـرف الفرسـان بأخلاقهم من حيـث الصّدق والنزاهـة والكرامـة والرجولة، واتّصفـوا بصفات جميلـة عبـر التاريخ، مـن حيـث المحافظة على الشرف والالتزام بالواجبات، ونصرة الحق، والدفاع عن المظلومين، ويتحلّـى الفارس المؤمن بكلّ ما تعنيـه الفروسـية من قيم إنسـانية وأخلاق عالية وشرف أصيل.

كان الشـيخ محمّد، رعاه الله، فارساً مغواراً منذ نعومة أظفـاره، حيث ظهر نبوغه وطاقاته وقدرته علـى التعامل مع الحصان الجامح، بل والسـيطرة عليه، وترويض الخيول البريّة، وهي خيول جامحة عصيّة على الترويض في نظـر الكثير من العارفين بالخيـول، وأذكر موقفاً منذ سـنين خلت، ولعلّها كانت في أواخر السبعينيات، وفي خضمّ احتفالات الدّولة بزفاف سـموّه إلى أمّ العطاء، أمّ الشـيوخ، الشـيخة هند بنت مكتوم، حفظها الله، عندما قفز مـن صهوة جواد إلى صهوة جواد، وهما في حالة ركض شديد في السّباق، وهذا الفعل فيه مخاطرة كبيـرة، لا يجـرؤ على الإقـدام علـى مثلها أعتى الفرسان، ما ينمّ عن شجاعة فائقة، وتدريب متقن، وفروسيّة بكلّ ما تعنيه الكلمة من معانٍ.

كمـا أنّ سـموّه من مشـاهير ملّاك السـلالات النّادرة، وهو الرّائد في سـباقات الخيول العالمية، بتأسيسه لإصطبلات جودولفين العالميّة، وإطلاقه كأس دبـي العالمـي، أغلى سـباقات الخيول في العالـم، والّتي تجـري على مضمـار «ميدان» في مدينة دبي الزاهرة.

أمّا شـاعريّة صاحب السّموّ الشيخ محمّد، رعاه الله، فهي ظاهرة لجميع من يتذوّقون الشـعر، إذ ينبئ شـعره عن تمكّن من بحور الشـعر، وسيطرة فائقـة على نظـم القوافي، مع القـدرة على نظم الشعر النبطي والفصيح في آن واحد، وفي مختلف مناحـي الحياة، سـواء كانـت المناسـبة دينية أو وطنيـة أو اجتماعيـة، أو غـزلاً رقيقـاً، وابتهالاته وقصائـده الرّائعة في الرّوحانيات، جميلة ومبهرة، أمّا غزله، ففاتن، يسلب العقول، وكثيراً ما تتضمّن شعره قضايا أمّته وهمومها وآلامها وآمالها.

وفي مراحل عمره المبارك، وفي مرحلة الشباب خصوصاً، نظم شعره ونشره بأسماء مستعارة، مثل «سـليط»، ولعـلّ ذلك كان لغرض أن يجد شـعره طريقـه إلى النّاس لجدارتـه وقوته وتميّزه، وليس لاسـم سـموّه أو مكانته، وحتّى يتمكّن من صقل شـعره، إن كانت هناك ملاحظات للشـعراء ومن يتذوّقون الشعر.

وصاحب السّـموّ، إنّمـا ينظر إلى الشـعر بأنّه عالـم آخـر، إذ ترتبط عين الشـاعر بقلبـه، وكما يقول سموّه: «عين الشـاعر ليست كبقيّة العيون، وقلبه أيضاً ليس كبقيّة القلوب، ترى عين الشـاعر مـا لا يراه غيره، نظرته للسـماء والبحر والصحراء، ليسـت مسـتعجلة كبقيّة البشـر، بل هـي نظرة متأنية، يملؤها الشـغف وتلمّس جماليات الوجود مـن حوله، وقلبـه قلب مرهف حسّـاس، يعرف خبايا مجتمعه، ويتلمّـس أفراحه وهمومه، فيتأثّر بهـا ويصوغهـا أبياتـاً، تملؤها المشـاعر الصّادقة المختلطة بإحساس الشاعر».

ولعلّ المتذوّق للشـعر، يجد في أشعار صاحب السّموّ الشيخ محمد بن راشد، الصدق، والبعد عن الزّيـف والتكلّف، والتقليد الأعمـى الّذي يطمس معالم الشخصيّة الشـعرية، ولا يمكّنه من الإبداع والتفـرّد والخصوصيّة والتميّـز، ويحول بينه وبين وضع بصماته في ثنايا شعره.

غاص الشـيخ محمّد في أعماق النفس البشرية، جمـع بين عبـق الماضي ونضـارة الحاضر، يحمل شـعره في حروفه حرارة الألم، وشعلة الأمل، ونور الحياة.

ويمتاز شـعره بقـوّة البناء الناتجـة عن الثقافة الواسـعة الّتي اتّصف بها، ومن هنا، يتميّز شـعره بروعـة التّخيّـل وقوّة الفكـر، وتدفق المشـاعر، وإحكام الأداء.

كما يمتاز شـعره بلغة عذبة، مع وضوح اللفظ وعمـق المعنى، وذلك نابع من إيمانه بأنّ الشـعر مسؤولية عظيمة وأمانة جسيمة.

ولذلـك، ألقى شـعره الضوء علـى موضوعات متنوّعـة وقضايـا مختلفـة، لها علاقـة بالأحداث الجارية، وقصائده محمّلة بتجاربه في واقع الحياة، كمـا أنشـد المـدح والفخـر، والغـزل والوصف، والشوق والحبّ، كما أنشد الرّثاء.

شـعره يدعـو إلى جعـل الحياة الّتي يعيشـها الإنسـان ذات معنـى، ويدعـو إلى المثـل العليا، ويتضمّن الكثير من الحكم الّتي تنير درب الإنسان، ويستشرف آفاق المستقبل.

ولحبّ الوطن نصيب الأسـد في شـعر صاحب السّـموّ، وقصائـده تنبئ عن حبّ صـادق للوطن ولمؤسّسـيه ولمكتسـبات الوطن، ويهزّ المشاعر، ويحرّك النفـوس الأبيّة، لتهـبّ حفاظاً على رونق الاتّحاد وروحه، ومكتسـباته وخيراته، ولتكون سدّاً منيعاً أمام كلّ من يخطر بباله المساس بهذا الكيان المبارك.

(بو راشـد) يا تـاج الرأس: كلماتـي عاجزة عن التعبيـر عمـا يموج فـي قلبي من أمـواج الحب والاحتـرام، وكل ما أرجوه، أن يصل وميض القلب إلى القلب، أقول ذلـك عن علم وخبرة بأخلاقكم الرفيعة العالية، أخلاق الفرسـان الكبـار، والقادة الشـجعان، والشـعراء المبدعين، وقليل في حقك الـكلام يا كبيـر المقـام، وكبيرة بك بـلادك التي زهتْ بك وزهوْت بها، فمنحتها ماء قلبك، وعصارة فكرك، وسـهر ليلك، (وعسى سـنينكْ روضْ عشْبْ ونواويـر)، والسـلام على قلبـك الصافي، ووجهك البسّام، وحرفك المستنير.